المحاضرة رقم 08: الأدب المعاصر في أمريكا اللاتينية.

جمعت البلدان الواقعة جنوب بحر الريو مجموعة عوامل مشتركة، كاللغة اللاتينية والدين المسيحي والأصل الهندي، والتنوّع البشري والاستقلال التام عن أمريكا الشمالية؛ اجتماعيا وثقافيا وسياسيا، وهذه هي العوامل التي وجدت هذه الشعوب تحت كيان واحد، وطبعت بصماتها على آدابها، التي كتبت بلغات مستعمريها، وكان المجتمع والهيمنة الأوروبية ووحدة المصير أهم موضوعاتها.

تعريف آداب أمريكا اللاتينيّة:

يطلق مصطلح "آداب أمريكا اللاتينيّة" على الأعمال الأدبية للكتاب والشعراء من مجموعة بلدان الجزء الجنوبي من قارة أمريكا وهو ما يسمى بأمريكا اللاتينية، بداية من المكسيك حتى جنوب القارة. وتلك البلدان هي: لأوروغواي، التشيلي، الباراغواي، الأرجنتين، بوليفيا، كولومبيا، فنزويلا، بانما، البيرو، كوستاريكا، نيكاراغوا، الهندوراس، السلفادور، غواتيمالا، المكسيك، كوبا، الدومينيكان، بورتوريكو، وهي دولة ناطقة بالإسبانية، وكذلك البرازيل الناطقة بالبرتغالية.

لعلّ صيغة الجمع التي تظهر في المصطلح تعبّر عن وجود تنويعات واختلافات قطرية وتجارب متعددة في تلك الآداب، لكن إدراج تلك التجارب الأدبية تحت مصطلح واحد يعبّر، في الوقت نفسه، عن وجود سمات عديدة غالبة ومشتركة بين تلك التجارب، وهو ما يرجع إلى التشابه في التجربة التاريخية والاجتماعية والسياسية... أي التجربة الحضارية المشتركة بين شعوب ذلك الجزء من القارة، منذ ما قبل الاحتلال الأوروبي في سنة 1492، أي منذ الحضارات القديمة، حضارات الهنود الحمر، إلى غاية فترة الاحتلال الذي استمر ما يفوق ثلاثة قرون ونصف، إلى غاية التجربة السياسية المعاصرة والتي تتشابه فيها تلك الأقطار إلى حدّ كبير[1].

[1]- ماركيز وآخرون، قصص من أمريكا اللاتينية، تر: ع. وصهيوني، م. ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1999، ص 6.

التجربة الشعرية المعاصرة:

التجربة الشعرية في أمريكا اللاتينية كانت منذ البداية مرتبطة بالثقافة الدينية الكاثوليكية من جهة والثقافة الشعبية من جهة أخرى، وحاولت أن تستثمر اللهجات المحلية لتقديم نصوص تجمع بين الخصوصيات المحلية للشعر الشعبي والقيمة الأدبية للشعر الفصيح، لكنها لم توفق. ومع ذلك فتحت باب البحث عن البعد المحلي في الأدب.

من أقدم القصائد اللاتينية الملحمية "لا أروكانا" للشاعر التشيلي ألونسو ثينونيخا وقد كتبها بين 1569 و1589، ويقول فيها:

«هل تشتعل الحروب دائما ويكون العنف

والفتنة والدم والنار، والعداوة

والكراهية والأحقاد والغضب الشديد

والجنون والانتقام

والموت والدمار والوحشية،

التي لا يتحملها المريخ نفسه

وهو الذي يمتلك قوة أعظم من قوتي؟» (لا أروكانا، المقطع 30 من القسم الثاني)

ومع ذلك لم تكن هذه الروح هي السائدة خلال قرون الاستعمار، بل كانت القصيدة في أمريكا اللاتينية إما مشبعة بالفكر الديني أو غارقة في التنميق اللفظي ووصف الأميرات والغواني في القصور وما يملكن من جواهر ومظاهر الترف.

مع نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 بدأ الشعراء يكتبون عن تجاربهم الجياشة الشخصية ومن خلالها يعبّرون عن مجتمعاتهم وعن القيم السائدة والقيم الجديدة.

من أهمّ النصوص التي تمثل هذه المرحلة قصيدة للشاعر خوصي خواكين دي أوليدو[1] José Juaquin De Olmedo (1780- 1847) من الإكوادور، عنوانها "أنشودة البوليفار" كتبها عام 1828، يمجّد فيها بطولة وروح القائد الثوري سيمون بوليفار. وتعتبر هذه القصيدة نصا مؤسسا لأدب الاستقلال في أمريكا اللاتينية[2]. يقول أليدو في هذه القصيدة:

«إن قوتكم تكمن في الاتحاد. الاتحاد أيّها الشعوب !

كي نصير أحرارا ولا يهزمنا أحد أبدا

هذا الاتحاد، هذه العلاقة المتينة

لعلّها سلسلة جبال الأنديز العملاقة

التي تمتد كرباط قوي من البحر إلى البحر».

لكن الشعر المعاصر في أمريكا اللاتينية له أسماء كبيرة بحجم القارة، مثل اوكتافيو بات وبابلو نيرودا، فيكتب الأوّل من موقع المثقف الهادئ والقوي بعمقه الفلسفي وقدراته الإبداعية المتميزة، ويكتب الثاني بروحه الثائرة والعاشقة، فتختلط عنده لغة عاطفة الحب والرغبة القوية في التحرر، فتجعل من قصائده الغزلية صرخات ثائرة في وجه الدكتاتورية وكل أنواع القمع والاستبداد. من القصائد التي تجمع بين عاطفة الحب والنقد الاجتماعي قصيدة "الفقر" من ديوان "أشعار القبطان" ترجمة ماهر البطوطي[3].

---

[1]- شاعر وحقوقي وسياسي ترأس دولة الإكوادور خلال سنة 1845.

[2]- Emmanuelle Sinardet-Seewald, La victoria de Junin, Canto a Bolivar (1825), La représentation d'une américanité en marche, in America, cahiers de CRICCAL, n°41, 2012, pp. 197- 205.

[3]http://www.adab.com/world/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=82793&r=&rc=37

«إذن، أنت لا تريدين

يصيبك الفقر بالذعر

لا تريدين أن تذهبي إلى السوق

بحذاء ممزوق

وتعودين في نفس ردائك القديم

يا حبي:

إنّنا لا نحب البؤس

كما يريد لنا الأغنياء

إنّنا سنخلعه

كما نخلع ضرسا مسوسا

ينخر حتى الآن في قلب الأسنان».

ميزات الشعر المعاصر في أمريكا اللاتينية:

جمعت شعراء أمريكا اللاتينية على اختلاف أصولهم وبلدانهم خصائص مشتركة، تجعلهم يتفردون عن أيّ مبدع لاتيني، يمكن تلخيصها فيما يلي:

- **تمجيد الخيال الحر**: وظهرت واضحة في أشعار بورخيس وغيره من الشعراء: «تمييزا معينا عند بعض مشاهير شعراء هذه القارة من مثل خلق كون من الخيالات الثقافية والحساسية الشعرية الحادة»[1].

- **البساطة في الأسلوب والعمق في الفكرة**: حيث لم تكلف الأشعار التراكيب الصعبة والألفاظ الغريبة، بل كان الأسلوب السهل طريقة للوصول إلى أكبر فئة من الجماهير، وبورخيس مثال على ذلك كما هو نيرودا.

- **الشعر الحر والنزعة النثرية**: وتبنى الشعراء المجددون أسلوب الشعر الحر وهذا ما يلاحظ في أشعار مارودي أندرادي، ومانويل باندير‌ا، حيث عملا على توظيف الأسلوب النثري المتحرر من القافية والمبتكر في الشكل.

- **البحث عن ما هو هندي**: والتركيز على المحلي والشعبي من الموضوعات، وهذا ما أنتج المسمى "النزعة الأهلية"[2]، أي المحلية والرجوع إلى الأصل الهندي، مثلما نجده في أشعار بورخيس وبابلو نيرودا، بالإضافة إلى الاحتفاء بالأصل الهندي.

- **الريف والعوالم الطبيعية**: فهو شعر يرسم طبيعة أمريكا اللاتينية الخلابة والوحشية: «أضفى هؤلاء قيمة شعرية على الإيقاعات الزنجية وعلى ظرف الريف وعلى سر العوالم الهندية»[3]. فأشعار بابلو نيرودا تغص بمشاهد الطبيعة المتوحشة؛ من الغيوم المتطايرة إلى الريح العاصفة فالمرتفعات الشاهقة والغابات والأنهار، والأمواج الغاضبة.

---

[1]- حمود محمد، أدب أمريكا اللاتينية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2008، ص 38.

[2]- حمود محمد، أدب أمريكا اللاتينية، ص 37.

[3]- المرجع نفسه، ص 37.

- **الموضوعات الاجتماعية**: التي شغلت بال مجمل الشعراء، وانتشرت هذه الموضوعات عند أصحاب النزعة الأهلية خصوصا بابلو نيرودا، في قصيدة "إقامة على الأرض" و"النشيد الشامل"، وتناول الشعر عديد القضايا الاجتماعية المؤرقة للمبدع من ذلك القضاة غير العادلين.

- **النضال في سبيل الحرية والاشتراكية**: وقف أغلب الشعراء في أمريكا اللاتينية ضد الحركات المستبدة: كالفاشية التي وقف بابلو نيرودا في مواجهتها بأشعاره، كما حظيت الثورة الكوبية بدعم الشعر الأمريكي اللاتيني، حيث قدموها بأساليب النشيد وهالات التمجيد وأحيانا الهجاء.

- **انتشار تيارات السريالية والرمزية في الشعر اللاتيني**: كما هي عند الشاعرة التشيلية "غبريلا ميسترال"، و"أوكتافيو باث" الذي استخدم لغة مكثفة في أشعاره بما في ذلك قصيدة "حجر الشمس"، وسيزار فليخو من البيرو كذلك.

المسرح المعاصر في آداب أمريكا اللاتينية:

عرف المسرح الحديث في بلاد أمريكا اللاتينية بداية من العقد الثاني من القرن العشرين، مع حركة "مسرح العادات والتقاليد"، في الأرجنتين والأوروغواي. وعرف المسرح التيارات الحديثة النفسية منها والتجريبية مع بعض المؤلفين «الأرجنتيان كونراد ونااليه روكلسلو 1898 وصامويل آيشلياوم 1894، والأروجوايي فيشتي مارتينيت كوتينو 1887 والتشيلي أرماندوموك»[1]، ومن مظاهر تطور هذا المسرح؛ انتقاله إلى نقد المشكلات القومية وتفسيرها، كما جاء في المواسم المسرحية المسماة "مسرح يوليسيز" 1928، ومسرح "توجه" 1932، وقد اختلف عن المسرح الأوروبي في طريقة تناول مشكلات الواقع، فالفنان يعيش حضارة مختلفة.

[1]- حمود محمد، أدب أمريكا اللاتينية، ص 34.